

## المحاضرة رقم 2

### أسباب ظهور المدارس النحوية

#### السياسة، المعرفية، المذهبية

#### تمهيد:

أدت عوامل كثيرة إلى ظهور المدارس النحوية العربية، و لعل أكثر هذه العوامل تأثيراً في ظهور الخلاف النحوي بين هذه المدارس، العوامل السياسية، و المعرفية، و المذهبية

#### 1- الأسباب السياسية:

كانت البصرة عثمانية أموية وكانت الكوفة علوية عباسية، وسكن الامام علي (كرم الله وجهه) الكوفة و اتخذها مقراً لخلافته؛ حيث كان أهل الكوفة مطيعين له فدعوه إليهم، في الوقت الذي شق عليه أهل البصرة عصا الطاعة، ثم جاءت السيدة عائشة (ت 58هـ) البصرة، و معها جيش طلحة و الزبير مطالبين بثار عثمان، وقد كانت موقعة (الجمل) الشهيرة بين عائشة وعلي، ومن ثم تمسكت كل من البلدين بما تدين له، فاستمرت البصرة هاشمية عثمانية والكوفة قرشية علوية، ولما كانت مسألة التحكيم، وكان المنتصر فيها الأمويين، كان طبيعياً أن يكون الاستقرار والطمأنينة و الهدوء للبصريين أنصارهم في الوقت الذي كانت فيه قلوب الكوفيين تغلي على البصريين و تضمّر لهم الكراهية و البغضاء، ولا أدل على ذلك من كلام أعشى<sup>1</sup>.

ولما سقطت الدولة الأموية، وجاءت الدولة العباسية، وكان مبدأ ظهورها في الكوفة إذ تمت البيعة لأبي العباس السفاح (ت 136هـ) أول خلفائها بدعوة لآل البيت، فناصره الكوفيون فحفظ

<sup>1</sup> محمد الطنطاوي: نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، القاهرة، ط2، ص 123، 124

العباسيون لهم هذا الصنيع، فعطفوا عليهم وكافؤوهم، فانقلب كل الكوفيين في عصر الأمويين الى عصر العباسيين وأفل نجم البصرة بعد أن كان ساطعا.<sup>1</sup>

## 2- الأسباب المعرفية:

تتعلق الأسباب المعرفية بجوانب كثيرة ساهمت في الرقي العلمي والحضاري لهذه المدارس، وقد أثرت هذه الجوانب معرفيا في توجه علماء هذه المدارس واختلاف آرائهم، فلبينة أوللموقع الجغرافي للمدن أثر بالغ في تحديد المستوى المعرفي و النشاط العلمي للعلماء، كما أن العامل الاجتماعي كذلك أثر في ذلك.

وقد ذكر الأستاذ محمد الطنطاوي أن من حسن حظ النحو أن كانت البصرة مولده ومهده، لأنها اختصت بما حرّمته الكوفة ذلك أن العرب النازحين إليها من القبائل العريقة في اللغة الفصحى، وأكثر من قيس وتميم، كما احتوت على سوق المرید الذي يقضي فيه العرب شؤونهم، فأقيمت فيه النوادي و المجمع الثقافية، وتألّفت فيه حلقات الإنشاد والمفاخرة، و مجالس العلم والأدب، ونشطت فيه المذاكرة و الرواية والأخبار.<sup>2</sup>

إضافة إلى هذا موقعها الجغرافي فإنها على طرق البادية، مما يلي العراق، وهي على مقربة من بوادي نجد غربا و البحرين جنوبا، وأكثر ما يميز البصرة أنها مدينة تجارية تقع على شط العرب ملتقى نهري دجلة والفرات مما ساعد على نموها وازدهارها، نتيجة احتكاكها بالحضارات الأجنبية، فأخذ العرب فيها ثقافات متنوعة و تعلموا منهم كل جديد.<sup>3</sup>

---

<sup>1</sup> عبد النبي محمد مصطفى جعفر: اختلاف النحاة ثماره و آثاره في الدرس النحوي، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية،

كلية اللغة العربية، قسم النحو و الصرف و اللغويات، السودان، 1431 هـ - 2010م، ص28

<sup>2</sup> محمد الطنطاوي : نشأة النحو ، ص124

<sup>3</sup> خديجة الحديثي: المدارس النحوية، ص 26

كما لعبت المراكز الثقافية الموجودة في البصرة دورا هاما في ارساء قواعد وأصول علم النحو، فمن بين هذه المراكز نجد المسجد الجامع الذي كان يضم حلقات الشيوخ منهم مجلس "الحسن البصري" (110 هـ) ومجلس "واصل بن عطاء" (80-131 هـ) ومجلس أبي تميم السخيتاني ومجلس حماد بن سلمة (165 هـ)، كما كان سوق المربد مناخا يجد فيه الخطباء و الشعراء المتنفس لقول الشعر و تناقلها.<sup>1</sup>

أما الكوفة فقد ساعدتها هي الأخرى عوامل معرفية مختلفة أثرت في إنتاجها العلمي والمعرفي، فقد كان أبو العباس يقول (الكوفة بلاد الأدب، ووجه العراق، ومنزلة خيار الصحابة، وأهل الشرف)<sup>2</sup>، فقد كانت الكوفة قبلة الصحابة والعلماء يتوافدون إليها من كل حدب وصوب يتدارسون علوم القرآن، فظهرت بها مدارس قرآنية، منها مدرسة القراءة والإقراء<sup>3</sup>، مدرسة الفقه والفقهاء<sup>4</sup>، مدرسة النحو والنحاة<sup>5</sup>.

وإذا نظرنا إلى بغداد والأندلس كذلك سنجد أن هناك عوامل وأسبابا معرفية أدت إلى ظهور هاتين المدرستين، فبغداد حاضرة الخلافة العباسية التي ازدهرت فيها الحضارة العربية الاسلامية في جميع المجالات المعرفية، نتيجة الاحتكاك الثقافي فلم تعد البيئة العربية منغلقة بل صارت فضاء مفتوحا يستقطب العلماء من كل حدب وصوب.

أما الأندلس فهي الأخرى عرفت ازدهارا معرفيا في مجالات عديدة منها علوم اللغة أدى إلى ظهور مدارس في اللغة ومذاهب مختلفة.

<sup>1</sup> خديجة الحديثي: المدارس النحوية، ص 29،30

<sup>2</sup> مهدي المخزومي : مدرسة الكوفة و منهجها في دراسة اللغة و النحو، مطبعة مصطفى الحلبي و أولاده ، مصر ، ط 2 ، 1958 م ، ص 12

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 22

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 26

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 32

### 3- الأسباب المذهبية:

لا تختلف الأسباب المذهبية عن العوامل السياسية إذ هي أحد أهم مسببات الخلافات السياسية في البيئة العربية، فما كان بين البصرة والكوفة من خلاف سياسي سببه المذهبية و الطائفية التي سيطرت على العقول، فقد كانت البصرة عثمانية أموية و الكوفة علوية عباسية، وإذا ما نظرنا كذلك الطابع العقلي الذي ميز عقل علماء البصرة خاصة بعد تأثرهم بالفلسفة والمنطق في زمن متأخر و علماء الكوفة وتمسكهم بالنص القرآني وقراءاته المختلفة واعتبارها مصدرا أساسيا في وضع القاعدة النحوية.

وإذا عدنا إلى المدرسة البغدادية، سنجد كيف أثر المذهب الكلامي على عقول النحو فصار الجدل والبرهان والحوار أسلوبا وطريقة لنقل العلوم والمعارف الخاصة بالعربية.

والأمر نفسه في الأندلس حيث نرى تأثير بعض علماء النحو بها بالمذهب الظاهري الفقهي وإعادة النظر في كثير من أبواب النحو التي وضعها علماء المشرق.